International Academic Journal for Arabic Language and Literature
2(1)(2020)148-174

الرايه الدولية الالكترونية
INTERNATIONAL ELECTRONIC ALRRAYIH

المجلة الأكاديمية العالمية للغة العربية وآدابها
١٧٤-١٤٨ (٢٠٢٠)(١)٢

تنوّع القيم في رواية " القارورة " ليوسف المحيميد

The Diversity of Values in the Novel of "Alqarurah "

by Yousef Al-Mahaimid

د. عصام حسين إسماعيل أبو شندي

قسم اللغة العربية – كلية التربية والآداب – جامعة تبوك

البريد الإلكتروني: esashendy@gmail.com

eabushindi@ut.edu.sa

الهاتف :00966598774620

الرتبة العلمية : أستاذ مشارك

التخصص العام : اللغة العربية

التخصص الدقيق : أدب ونقد

المؤسسة التعليمية : (قسم اللغة العربية – كلية التربية والآداب – جامعة تبوك)

Name : Issam Hussein Ismail Abushind

Academic Rank: Co-professor

General Specialization: Arabic Language

Specialization: Literature and Criticism

Educational institution :(Department of Arabic Language -Faculty of Education and Literature - University of Tabuk)

ملخص

يلحظ القارئ لروايات يوسف المحيميد بسهولة أن الكاتب يعمد إلى التنويع في القيم التي يعالجها في بناء روايته، بين قيم دينية واجتماعية وسياسية . رواية القارورة تحكي قصة اجتماعية في المقام الأول، تتمثل في تمكن العسكري "علي الدحال" من مخادعة الفتاة الجميلة "منيرة" بإيهامه لها بأنه يحبها ومن ثم طلبه الزواج منها وإخفائه عنها أنه متزوج ويعيل أسرة. تكشف الفتاة وأسرتها أمره في ليلة الزفاف ويتبين لهم أنه فعل ذلك انتقاما منها ومن أخيها "صالح" الضابط الذي يرأسه في العمل، الذي كان غائبا في مهمة تدريبية في لندن أثناء وقوع أحداث الرواية. وهذه الحكاية تمثل قيمة اجتماعية بحد ذاتها، إلى جانب بعض القيم الاجتماعية الأخرى التي يقاربها الكاتب، فضلا عن عدد من القيم الدينية، كقصة المرأة العجوز التي عاقبها ربها بأن رفض القبر جسدها عندما لحدها ولدها فيه بسبب عملها في السحر. وكذلك تتضمن الرواية عددا من القيم السياسية، ومنها مزاوجة الكاتب بين أحداث الرواية زمنيا، وبين أحداث احتلال صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠م وما تلاها من قصف لبعض المواقع في الجزيرة العربية. وهذا الغنى بالقيم يمثل جمالية في هذه الرواية، وهذا دفعني لدراستها آملا الوصول إلى نتيجة علمية لائقة.

كلمات مفتاحية : رواية القارورة – القيم – يوسف المحيميد

Abstract

The reader of Yusuf al-Muhaimid's novels can easily note that the writer aims to differ in the values that he deals within the construction of his novels, between religious, social and political values. Alqarurah's novel tells a social story in the first place. Ali Adahal , a soldier, who misleads a beautiful girl "Munira" by accusing her that he is in love with her and then he asks her family to marry the girl and hides that he is married and supports a family. The girl and her family discover his deception in the wedding's night and they find out that he did so only to retaliate her and her brother, "Saleh," the officer who is the

leader of Ali at the work, and who is absent for training mission in London during the novel's events.

This story is a social value in itself, along with some other social values that the author approaches, as well as a number of religious values, such as the story of the old woman who is punished by God when the grave refuses her body when she was died because of her work in magic. The novel also includes serval political values of which is his portrayal of Saddam Hussein's occupation to Kuwait in 1990 and the subsequent bombing of some sites in the Arabian Peninsula. This wealth of values represents a beautiful vale in this novel, which was pushed me to study it in order to achieve an appropriate scientific result.

Key words : Alqarurah Novel – Values – Yousef Al-Mahaimid

مقدمة

لا ريب في أن "القيمة" أو "المغزى" يمثل العنصر السردي الأهم في البناء الفني للرواية؛ ذلك أنه يمثل المنطلق الذي يبدأ الروائي به عمله الذهني في تكوين فكرة الرواية، ومن ثم يتبع ذلك بتصميم بقية عناصر السرد وتشكيلها انطلاقا من هذه القيمة، بحيث تعمل تلك العناصر كلها على بلورتها، لتكون بعد ذلك بمثابة رسالة يسعى المبدع إلى إيصالها للقارئ من خلال هذه الرواية في جملتها .

وكلما كانت القيمة أو القيم التي تحملها الرواية، مهمة للحياة والإنسان والمجتمع، كان ذلك من علامات عمق النظرة الفلسفية لدى الروائي، وكلما تعاورت عناصر السرد الأخرى على إيصال القيمة للمتلقي واضحة جلية، كان ذلك من دلائل نجاح هذا العمل الروائي .

والقارئ لروايات يوسف المحيميد عامة ومن بينها رواية " القارورة " خاصة، يلحظ أن الكاتب يعمد إلى التنويع في القيم التي يعالجها في بناء روايته، بين قيم اجتماعية ودينية وسياسية وغيرها؛ فهذه الرواية تحكي قصة اجتماعية في المقام الأول، تتمثل في مخادعة العسكري "حسن بن عاصي" للفتاة الجميلة "منيرة الساهي" في أمر يتعلق بالزواج، ليعمل المحيميد على مقاربة هذا الموضوع وغيره من الموضوعات والمظاهر الاجتماعية الأخرى، ويبسطها بين يدي القارئ ويظهر ما فيها من سوءات .

وفي الوقت نفسه يجد القارئ أنه يقارب عددا من القيم الأخرى ذات الطابع الديني، كقصة المرأة العجوز التي عاقبها ربها بأن رفض القبر جسدها، عندما لحدها ولدها فيه بسبب عملها في السحر، ويجد القارئ كذلك أنه يقارب عددا من القيم السياسية، ومنها أنه يزاوج بين أحداث الرواية زمنيا، وأحداث احتلال صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠م، وما رافقها من قصف لبعض المواقع في الجزيرة العربية .

وهذا الغنى بالقيم يمثل جمالية من جماليات الرواية، تشي بأن الكاتب صاحب نظرة فلسفية عميقة تجدر دراستها، الأمر الذي دعاني لدراستها من هذا الجانب، في ثلاثة محاور : محور القيم الاجتماعية، ومحور القيم الدينية، ومحور القيم السياسية، آملا الوصول إلى نتيجة علمية لائقة .

تمهيد :

تحكي الرواية قصة الفتاة "منيرة الساهي" ذات الثلاثين عاما التي تتعرض لخداع من قبل العسكري "حسن بن عاصي" الذي يعمل مراسلا عند أخيها الرائد "صالح الساهي"؛ إذ يوهمها كذبا بأنه ضابط برتبة رائد واسمه "علي الدحال"، ويوقعها في حبائل حبه أثناء ابتعاث أخيها صالح في دورة عسكرية إلى بريطانيا، ليصل الأمر بينهما إلى درجة عقد القران، وفي ليلة الزفاف يكتشف أهلها كذبه وتقمصه لهذه الشخصية الوهمية، وأنه مراسل ومتزوج ولديه ستة أطفال .

وهذه الخديعة الاجتماعية تمثل القيمة الرئيسة التي تدور حولها أحداث الرواية، بحيث يستغل الروائي المحيميد ببراعة هذه الحكاية ليلقي الضوء من خلالها على عدد من المظاهر السلبية في مجتمعه السعودي، مؤديا بذلك الدور المطلوب من الأديب فعله وهو كشف النقاب عن الصور الرذيلة المتناثرة في ثنيات حياة المجتمع جنبا إلى جنب مع الصور الفضيلة، لتبدو هذه الصور الرذيلة عارية مكشوفة أمام ضمير المجتمع، لعله يصل إلى تجاوزها لواقع أفضل في قادم الأوقات، والنص الروائي عادة يشكل " الحقل الذي يجب أن تتفجر فيه أسئلة الراهن أشكالا جمالية مقلقة، تقدم الجديد، في الوقت ذاته الذي تبحث فيه عن المسكوت عنه، وبذلك تقدم عبر النص الروائي، البنية الثقافية – الاجتماعية في حركتها، فتصدر قضاياها، ورؤياتها، ورؤاها، وطموحاتها، وآمالها "[1]، حيث يجد المتلقي أن هذه المظاهر تتوزع في ثلاثة اتجاهات : منها ما يتعلق بالمظاهر الاجتماعية بحيث يمكن تسمية هذه الاتجاه (القيم الاجتماعية)، ومنها ما يتعلق بالمظاهر الدينية ويمكن تسميتها كذلك (القيم الدينية)، ومنها ما يتعلق بالجوانب السياسية التي يمكن تسميتها (القيم السياسية) .

ومن جانب آخر يجد المتلقي أن المحيميد يبرع في توظيف أربعة من عناصر السرد في سبيل كشف النقاب عن هذه الصور، ولا سيما عناصر : الشخصية والحدث والمكان والزمان، وسأعمد في الصفحات التالية إلى قراءة الدور الذي أداه كل عنصر من عناصر السرد هذه، في تسليط الضوء على هذه المظاهر والصور التي تتسرب تحت كل قيمة من هذه القيم الثلاث : الاجتماعية والدينية والسياسية .

---

[1] شهلا العجيلي " **النص الروائي ودوال الهوية الثقافية** " **مجلة علامات في النقد الأدبي** بجدة، السعودية، ج٥٣، م١٤، رجب ١٤٢٥هـ – سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ٤٤١

أولا

القيم الاجتماعية

وهي المظاهر السلبية ذات الأبعاد الاجتماعية التي يقاربها الروائي في عالم الرواية، كالخديعة الاجتماعية التي تعرضت لها منيرة الساهي من العسكري حسن بن عاصي، هذه الخديعة التي تمثل القيمة الرئيسة في الرواية، وما يليها من مظاهر اجتماعية أخرى كالتحرش الجنسي، والفقر، وقضية الشرف، والخلوة بين العروسين، وإهمال الأولاد، ونظرة المجتمع للمرأة، وضرب المرأة من دون سبب، وكما يقول جورج لوكاش (George Lukash) عن الدور الذي يؤديه الكاتب في خدمة قضايا مجتمعه، فإن " المسألة لا تغدو جوهرية حاسمة وأساسية إلا عندما نتساءل واقعيا : أين هو الكاتب، ماذا يحب، ماذا يكره ؟ وهكذا نصل إلى توضيح أعمق لرؤية العالم الحقيقة عند الكاتب، وإلى مسألة القيمة الأدبية والخصب الأدبي في رؤية الكاتب للعالم "[١] .

والشخصية الرئيسة في الرواية منيرة الساهي، هي التي تتكشف من خلال أحداث حياتها في اللحظة الراهنة من الزمن الروائي، أو من خلال تيار الوعي وتذكرها لصور وأحداث مما مضى من أحداث حياتها، أو من خلال علاقاتها مع الشخصيات الأخرى – تتكشف صور من عيوب المجتمع، هذه الشخصية التي يصفها يوسف المحيميد بقوله : " ولعل هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات المأزومة هي من تغويني لأسير خلفها، بل حتى لو تجاهلتها يوما ما، أشعر بها تسير خلفي "[٢]، وفي مقدمة هذه العيوب **الخديعة الاجتماعية** التي تعرضت لها من حسن بن عاصي، حيث يلخص الراوي هذه الفكرة بقوله عن منيرة : " عيناها مصوبتان تجاه السقف، تنظر بعينين جامدتين تشبهان أعين الموتى، وهي تتأمل فضيحة البارحة وتسأل روحها، لم حدث كل ذلك ؟ لم مارس معها كل هذا الخداع ؟ وأدار لعبة الزيف طوال هذه الأشهر ؟ كيف جاء باسم مزيف ؟ ووظيفة مزيفة ؟ وصفات وأهل وأصدقاء وعالم مخيف من الزيف ؟ "[٣] .

---

[١] جورج لوكاش، **بلزال والواقعية الفرنسية**، ترجمة محمد علي اليوسفي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط١، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢١

[٢] يوسف المحيميد " **حوار مع الروائي السعودي يوسف المحيميد** " **مجلة الاستهلال**، السعودية، ع١٤، يونيو ٢٠١٧م، ص ١٣٣

[٣] يوسف المحيميد، **القارورة**، دار مدارك للنشر، ط٦، دبي، ٢٠١٤م، ص ص ١١، ١٢

ومن خلال تيار الوعي وتذكرها لصور مما بر بها من حياتها، تعرض في أكثر من موضع لعيب اجتماعي آخر هو **التحرش الجنسي**، إذ تذكر عددا من المواقف التي تعرضت فيها لتحرش جنسي في مراحل مختلفة من عمرها، كتعرض ابن خالتها الفتى ناصر وتقبيله لها في بيتهم، أو تعرض الرجل الأربعيني من أقاربها لها وهي صغيرة في مجلس القبيلة السنوي، وتقبيله لها أيضا، وكذلك ابن جارهم الجنوبي في الحي وتهجمه عليها وهي عائدة من المدرسة[١]، أما ذروة تلك المواقف فكانت تحرش زميلتها في العمل في دار الفتيات "نبيلة" إذ تصف منيرة ذاك الموقف بقولها : " استدارت نبيلة من وراء مكتبي وهي مبهورة بالسلسال فاتحة فمها بفعل الدهشة : "الله" ثم أدارت كرسيي الدوار تجاهها واقتربت بوجهها مني وكأنما تطالع فص الزمرد، لكنها فجأة قبضت بفكيها على وجهي القمري، الذي تسميه فلقة قمر (...) وانهالت بفمها ذي الأسنان البارزة على شفتي الرقيقتين، فما كان مني إلا أن صفعتها على خدها الأيسر "[٢]، والرواية في أبسط مفهومات الدور الذي تؤديه في خدمة الحياة، هي " هم مشترك بين الكاتب ومجتمعه، والحياة ومستقبلها، والتاريخ القائم في صفحات الذاكرة الإنسانية التي تفتح عينيها على الحياة دون وعي بما حولها، ثم يتحول الوعي إلى إدراك بسيط لا يتحرك خارج الرغبة الآنية التي توقدها حاجات الإنسان للحياة اللطيفة . وبينما يتجول الإنسان في ردهات الحياة، يرى ويسجل ويلتقط أحزانه، مدفوعا بطفولته التي ترغب في معرفة الغامض والمستور، تتقشع أمامه السبل عن أنياب، تنهش ضميره وروحه ومبادئه الراغبة بالنسيم العليل "[٣] .

ونبيلة هذه وهي شخصية ثانوية في الرواية، هي في الأصل ضحية تحرش زوج والدتها بها جنسيا، الأمر الذي قد يكون سبّب لها عقدة نفسية من هذا الجانب، إذ تصف أول مرة مارس فيها هذا الفعل معها بقولها : " دخل أبي الذي تعلمت أن أدعوه أبي مثل أخواتي الثلاث، دخل بوجهه الأسمر الذي لا يخلو من أثر جدري قديم، ولحيته خفيفة، ولم يترك لي فرصة أن أنهض أو أحييه، فقد أنكب سريعا فوق ظهري (...) كانت هذه المرة الأولى، وتلت ذلك مرات عديدة "[٤] .

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ص ٨٣ – ٨٥

[٢] القارورة، ص ٣٧

[٣] عوض إبراهيم العنزي " **آفاق التوقع ومسارات التحول : قراءة بنيوية تكوينية في رواية "فخاخ الرائحة" ليوسف المحيميد** " **مجلة قوافل**، الرياض، ع٣٤، أغسطس ٢٠١٦م، ص ٦٤

[٤] القارورة، ص ٣٤

ويعرض المحيميد لعيب اجتماعي آخر ذي بعد تربوي، يتمثل في **إهمال البنت وعدم إيلائها الحنان الكافي**، الأمر الذي يضطر فتاة مثل منيرة، وهي الوسطى بين أختيها، إلى أن تصف هذا الوضع بقولها : " في البيت كنت الوسطى المهملة (...) ربما هذا ما جعلني أنصرف إلى عالم الكتب والقراءة والبحث، كنت لا أجد الأمن الوجداني، وأتعرض للإهمال والنسيان من جميع من في البيت (...) لم أصدق أن أسمع شخصا أو رجلا يقول لي بصوت رخيم وملائكي : يا حبيبتي ! يا عمري !"[١]، وهذا ولا ريب هو ما جعلها تقع بسهولة في حبائل حسن بن عاصي .

وليس بعيدا عن هذا العيب الاجتماعي، عيب اجتماعي آخر، يتمثل في **النظرة الدونية للمرأة**، هذه النظرة النمطية للمرأة التي تعبر عنها منيرة بقولها : " كنت أنثى، مجرد أنثى مهيضة الجناح كما يراني الناس في بلادي، أنثى لا حول لي ولا قوة، كنت أتلقى فقط، كالأرض التي تتلقى المطر وضوء الشمس والفأس ! (...) هكذا علمتني أمي في الطفولة، أن أحترس من الغرباء، أن أنكفئ إلى داخلي، أن أخزن عواطفي وطاقتي في داخلي، لأن إخوتي الثلاثة هم من يحق لطاقاتهم أن تنفلت وتظهر إلى الخارج ! (...) قالوا لي إنك أنثى، وعليك أن تظهري أنوثتك، أن تسبلي عينيك، وتملئي وجهك بالمساحيق والكريمات مثل مهرج يلفت الأنظار "[٢]، وكما يقول نزار نجار واصفا كتابات المحيميد في هذا الجانب بقوله : " دعاوى كثيرة تقف في وجه المرأة : الشرائع والأعراف وصور الشرف والزلل، والخطوات المرسومة وأصداء أقوال وكلمات عاشت وصدرت في الماضي السحيق، ولا تزال تجد طريقها إلى زماننا، وكان حقها أن تبيد من زمن طويل "[٣] .

وهناك شخصية ثانوية أخرى، تظهر في بناء الرواية في مكان عمل منيرة وهو دار الفتيات، وهي شخصية المرأة البدوية "ميثاء" التي قتلت زوجها المسن الذي زوجها والدها له رغما عنها، وزيادة على ذلك فقد كان هذا الزوج يمعن في ضربها، وهنا " تتبدى القسوة أول ما تتبدى في التقاليد الاجتماعية المغلفة بالمحافظة، التي تجعل من العلاقة بين الرجل والمرأة أمرا معضلا يقترب من حد الاستحالة، من التابو، فتتحول المرأة في مخيلة الرجل إلى كائن آدمي يمكن أن يشبع

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ٨٧

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ص ٨٨، ٨٩

[٣] نزار نجار " **القارورة ليوسف المحيميد** " **مجلة الفيصل الأدبية**، الرياض، ع٣، م١، سبتمبر ٢٠٠٥م، ص ١٢٦

احتياجاته العاطفية والطبيعية "[١]، حيث تصف ميثاء هذه الحال بقولها : " رجعت مرة ذليلة الحال، مكسورة الخاطر، أكل التعب مني كل ما بي، فوجدت زوجي ينتظرني بالسوط، وقال لي : ما يربيك إلا السوط يا قحبة ! ثم جلدني أكثر من نصف ساعة، حتى أغمي علي، بعد ذلك قام وصب ماء باردا على جروحي، فصرت أصرخ بكل قوتي، حتى اهتزت الدنيا بي، لكن لم يساعدني أحد "[٢]، الأمر الذي أدى بها إلى قتله بعد ذلك، هذا المظهر الاجتماعي الذي لا يخلو منه المجتمع السعودي، ولا غيره من المجتمعات الشرقية، المتمثل في **الإسراف في ضرب الزوجة** بسبب ومن دون سبب، وفي ظني أن موقف المرأة البدوية ميثاء هذه، أو غيرها من الشخصيات التي مر ذكرها من تلك الصور والمواقف، لا يعدو كونه " موقف الروائي (الكاتب) من واقعه المعيش أو من عالمه المحيط، بكل ما فيه من أحداث وعلاقات "[٣] .

ويجد المتلقي كذلك أن المحيميد يسلط الضوء على عدد من المظاهر الاجتماعية، بشكل يكون فيه عنصر "الحدث" هو الوعاء الذي يتم إبرازها من خلاله؛ بمعنى أن بروز هذه المظاهر يكون أعلق بعنصر الحدث من غيره من عناصر السرد الأخرى، إذ يمثل حدث وفاة جدة منيرة الساهي، الإطار الذي يكون سببا في تعرف أسرة منيرة على المرأة غاسلة الموتى، التي تحدثهم عن ظروف **فقرها** التي اضطرتها لامتهان هذا العمل، حيث تصف هذه المرأة تلك الظروف بقولها: " بيتي صغير ومنخفض في حي العطايف – قالت – ولم يترك لي أبو عبد الرحمن شيئا، غير بيت طيني تخضه قرقعة الرعد وهدير السيل، عشت على المسلمين، إما صدقة وإما زكاة، أغسل ميتات المسلمين لوجه الله، وما أرد كرم أهل الميت وإحسانهم "[٤] .

---

[١] صلاح السيد السروي " **بكائية للقسوة، ترنيمة للحياة، قراءة في مجموعة ظهيرة لا مشاة لها ليوسف المحيميد** " **مجلة أدب ونقد**، الرياض، ع٧٥، م٨، نوفمبر ١٩٩١م، ص ١١٧

[٢] القارورة، ص ١٢٦

[٣] آمنة يوسف، **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ٢٠١٥، ص ٤٥

[٤] القارورة، ص ٥٢

وفي الموضع ذاته تروي المرأة غاسلة الموتى حدثا يتعلق بقضية **شرف تروح ضحيتها امرأة**، إذ تروي حدث مرافقتها لرجل مسن وامرأة شابة، بحيث يقتل هذا الرجل المرأة الشابة لأمر ذي علاقة بالشرف، حيث تقول : " ركبت بجانب امرأة شابة، لم ترد السلام، وقد تلحفت كلها بالسواد، بل اكتفت بإشارة من سباباتها كأنما كانت تهلل من دون صوت مسموع (...) بعد أن نزلت من التل، لمحتها مطروحة داخل عباءتها، وبدأت عملي بعد أن بذلت جهدا مضاعفا في غسيل الدم النازف من منطقة الصدر، ما يعني أنه حين سبقها إلى الأسفل استدار ورأى عينيها الخاشعتين بسكون، والذاهبتين إلى الموت الأبدي (...) قالت المرأة إنها لم تسأله حتى شارفت على حي العطايف، فقال لها : – مسألة شرف ! "[1] وكما يقول عبد الغني دهوان، فإنه" يجب وضع علامات وثيقة بين النص والمجتمع، مع إظهار المصالح والمشاكل الجماعية على المستوى اللغوي، وهذا التصوير هو الذي يسمح في النهاية، في وضع الأدبي في ترابط مع الاجتماعي، أي أن النص الأدبي يستوعب اللهجات الجماعية للجماعات المختلفة "[2] .

وبعد أن عقد حسن بن عاصي قرانه على منيرة الساهي، راح يخلو بها **خلوات في بيت أهلها**، ولا غرو أن مثل هذه الخلوات ليست محبذة بين الرجل والمرأة حديثي عقد القران قبل الدخول، ليست محبذة في المجتمع السعودي وغيره من المجتمعات الشرقية، وتعد عيبا اجتماعيا تقع اللائمة فيه على الكبار في الأسرة أكثر من وقوعها على الأبناء، حيث تقول منيرة هنا : " بعد أن لبست قميصا مشغولا بالتطريز، كنت جازمة أن أخي محمدا سيشاركنا الجلسة، لكنني فوجئت أنه خرج بعد أن صافح خطيبي ورحب به، يا إلهي حتى أخي المتدين وقع في فخ علي الدحال، إذ كان يرى فيه رجل ثقة وأمانة ومسؤولية (...) ولم تكن أمي تتجاسر لتدخل، وتكسر انسجام خلوتنا، بل إنها ترى عقد نكاحي منه كاف ولو لم يدخل بي "[3] .

---

[1] المصدر السابق نفسه، ص ص ٥٢ – ٥٦

[2] عبد الغني دهوان، **الرواية والمجتمع، دراسة سوسيونقدية**، عمان، ط١، ٢٠١٧م، ص ١٤

[3] القارورة، ص ص ٧٦، ٧٧

وفي حدث مهم آخر تقوم عدد من الناشطات الاجتماعيات، بحملة يقدن فيها السيارات احتجاجا على منع المرأة من قيادة السيارة في السعودية، لكن الأمر اللافت في هذا الموضع أن واحدة من الأستاذات الجامعيات اللاتي شاركن في هذه الحملة، تجد نفسها في اليوم التالي **تتعرض لحركات مضايقة من الطالبات** الإناث اللاتي تطالب بحقهن في هذا الجانب، وبالطبع مثل هذا التصرفات من الطالبات، هي بتحريض من الأهالي ولا ريب، إذ " كانت الأستاذة الجامعية تظن أنها ستستقبل كالأبطال في الجامعة، لكن عبارات السخرية والاتهام والتشويه كانت ملصقة على باب مكتبها، في قاعة المحاضرات وجدت على اللوح اتهامات مكتوبة : العلمانية ترفض الدين وشرع الله ! وما إن دخلت حتى انسحبت معظم طالبات القاعة، كاحتجاج صامت على ما قامت به الأستاذة الجامعية "[١]، وهكذا – كما يقول محمد عطية – " يبرز المجتمع مساوئه وخلطه للأمور، من خلال هذه المشاهد الدالة للنتائج وتداعياتها ونقاط انتشار توابعها "[٢] .

وعيب اجتماعي آخر يلمسه المتلقي، وبالرغم من كونه يقع في سياق عمل في دائرة من دوائر العمل، إلا أنه يظل ذا طابع اجتماعي ولا ريب، وذلك عندما عُيّنت منيرة في مدرسة أهلية، راحت ومنذ اللحظات الأولى لبدء العمل **تتلقى الإهانات** من مديرة المدرسة " ولم تكد تصرف فصلا دراسيا واحدا كمرشدة اجتماعية في مدرسة أهلية، حتى قررت الاستقالة، وقد حاصرتها مديرة المدرسة مدام ثروت بالطلبات والإهانة، كانت تأمرها بترتيب طاولات وكراسي الصفوف مع العاملات الفلبينيات، حتى بصقت على طاولة المديرة وصفقت الباب خلفها "[٣]، وهو عيب اجتماعي يتبدى كما يُلاحظ من خلال حدث من أحداث حياة منيرة .

وبعد أن غرقت منيرة في حالة متقدمة من اليأس بعد كشفها خديعة حسن بن عاصي لها، راحت تتخيل أحداثا تالية حبلى بالأسى والألم تراها بين عينيها، أحداثا ستتقاد لها مرغمة وقد خسرت الكثير، وقد غدت **عانسا** في عين المجتمع، ولا حلّ لمشكلتها إلا أن تمسي **الزوجة الرابعة لرجل ستيني** " ستمر الأيام رتيبة وبطيئة، وسيأتي زميل أبي في سوق العود والسجاد، وهو يحمل معه مهري وأعوامه الستين، سيأخذني وأنا أسمع عزاء من حولي : أصلا أنت الآن عانس،

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ١٠٥

[٢] محمد عطية محمود " **مرآة الذات مرآة المجتمع في القارورة ليوسف المحيميد** " **مجلة قوافل**، الرياض، ع٣٦، سبتمبر ٢٠١٧م، ص ١٥٥

[٣] القارورة، ص ١٤٧

وعمرك فوق الثلاثين ! سأقنع نفسي بذلك، وسأسكن فيلا في حي النخيل وسيخصص لي سائقا فلبينيا وسيارة لكسز جديدة، وسأنتظره ثلاث ليال يمر خلالها على زوجاته الثلاث، وفي الليلة الرابعة سأقص عليه الحكايات "[١] .

والمكان كذلك بوصفه عنصرا من عناصر السرد، يؤدي دوره في أن يكون الفضاء الذي تتبدى فيه بعض العيوب الاجتماعية، فالسوق من أكثر الأمكنة مناسبة لممارسة **التحرش** بين الشباب والفتيات أو الرجال والنساء، فالسوق " التي تنام ليلا تشبه جسد بائعة رصيف غفت تحت عباءتها السوداء ! السوق ذاتها تنصت برهافة وهي تتسلى بمتابعة شاب يافع ويقظ، عيناه مثل عيني طير يلحظ الفرائس من علو شاهق، وهو يحاول مع بنت يانعة الجسد، يكاد جسدها ينطق من تحت عباءتها السوداء، إذ كانت أعينهما تتحاور وتتآمر على العالم الصغير حولهما، حتى أشار إليها بقبضته التي تلم روح رقم هاتفه المنزلي، ففهمت وهزت رأسها بحذر، ثم وهبته الفرصة (...) كي يمر بجوارها في اللحظة التي أفردت أصابعها لتتلقف أرقام هاتفه السبعة "[٢] .

والمدينة وهي فضاء مكاني كبير وواسع وممتد " كل شيء في هذه المدينة يحمل نقيضين، كأنما هي ذوات انفلقت إلى شظايا، في داخل كل شخص شخصان أو أكثر، شخص الظاهر وشخوص الباطن، شخص محترم ومهذب ومخلص ومنفتح في الظاهر، وفي الباطن والعمق شخوص عديدون للصوص وخونة ومنغلقين ومتزمتين "[٣]، فهي إذن المكان الذي تتبدى فيه **تناقضات الناس** وتقلباتهم بين ممارسة أفعال الخير والفجور والفضيلة والرذيلة .

ولا يكتفي المحيميد بجعل المدينة الفضاء المكاني الذي تمارس فيه مثل تلك التناقضات، بل يشرك البيوت في هذه الممارسات، وذلك بأن يجعلها كالأحياء التي تتقلب بين مشاعر **الأمن والخوف والثقة والشك والدسائس** " كانت البيوت في المدينة يحفها الهدوء والطمأنينة، وتحلق فوق سطوحها طيور التقوى، وعلى أسوارها تخفق رايات اليقين، بينما يحفر

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٩

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١٣٧

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ١٣٨

الخوف والرعب أعماقها، ويسف العذاب هواءه فوق جدرانها الإسمنتية، وينام الشك خالدا في عتمة دهاليزها ! كانت صناديق الدسائس ترقد في الأقبية والمخازن، بينما تنصب على أبواب البيوت مصابيح الطهر والصفاء "[١] .

وبذلك يكون المحيميد قد لامس عددا من الموضوعات والصور الاجتماعية في الجانب السلبي منها، ليطرحها أمام ضمير الإنسان ابن هذا المجتمع، لعله يتفكر في مدى ما فيها من سوء، على أمل أن تجد طريقها للاندثار والزوال في يوم من الأيام، وكما يقول حسن النعمي، فإن الخيارات في هذا الإطار " تبدو ضيقة بين أن ينكفئ المجتمع على ذاته، وبين أن يندفع إلى أقصى مدى، هنا تقوم لحظة الصراع التي تبدو لحظة شهية للروائيين، ومغرية بالتناول بحجم تأثيرها على الأبنية الاجتماعية الكلاسيكية . فالديالكتيك الاجتماعي سواء اليومي أو القيمي يشعل الأسئلة ويجدد القلق والتوتر معرفيا واجتماعيا، وإذا كانت الرواية لا تعد بإجابات منجزة، فإنها حسب تكوينها تعيد تكوين وترتيب العوالم من حولها لإنتاج نص ينتقل من الكائن إلى الممكن، ولذلك، تصبح رحلة الرواية مع الواقع جدلية، لا تفضي إلى يقين، بل إلى أسئلة متجددة عن جدوى الصراع وما يمكن أن يصل إليه "[٢] .

ثانيا

القيم الدينية

وهي الموضوعات والصور التي تتعلق بالجوانب الدينية أو تقع في سياقها، وكما يقول جورج ديهامل (George Duhamel) : فإن " معظم الكتاب لديهم إحساس عميق بمسؤوليتهم ما داموا قد وهبوا هبات ممتازة، وما داموا يستطيعون أن يصلوا إلى الحقائق الكامنة خلف الظواهر، وأن يعبروا عنها في عبارات ترفع القلوب "[٣]، وهنا يجد المتلقي أن عنصري السرد اللذين يحملان هذه الموضوعات والصور ويبسطانها بين يدي المتلقي، هما عنصرا : الشخصية والحدث، خاصة من دون عناصر السرد الأخرى .

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣

[٢] حسن النعمي " **الآخر في الرواية السعودية، دراسة في الخطاب الثقافي** " **مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية**، الطائف، ع٤، م١، ذو الحجة ١٤٣١هـ – ديسمبر ٢٠١٠م، ص ١٦٦

[٣] جورج ديهامل، **دفاع عن الأدب**، ترجمة محمد مندور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ص ٢٤٦، ٢٤٧

والشخصية التي تتبدى من خلالها الموضوعات الدينية على امتداد بناء الرواية، أكثر من غيرها من الشخصيات الأخرى، هي شخصية ثانوية وهو "محمد" أخو منيرة الساهي، فمنذ صغره وهو في المرحلة الثانوية تلقفه أستاذه في المدرسة "زيد الخالد"، واستغل حداثة سنه وحيرته في مرحلة المراهقة هذه، وغذى فيه جانب **التعصب الديني** " فصار يهتم به خلافا لبقية الطلاب، وحظي بدرجة الفصل الأول كاملة، وقد أهداه عددا من الكتيبات التي تحض على الجهاد، والأشرطة الصوتية التي يبكي فيها مجاهدون عادوا من أفغانستان، وهم يصفون نصر الله لقلة قليلة أمام دبابات وطائرات الشيوعيين، صار محمد يحلم بدولة إسلامية وحكومة إسلامية، بعد أن اصطحبه زيد الخالد إلى رحلة برية قرب الحسي (...) تعلم فيها بعض الدروس والمحاضرات التي ترى أن الناس في بلده الصغير النائم بسكون في أطراف القارة هم من الكفار "[١] .

الأمر الذي انعكس على تصرفاته في البيت " فما إن يدخل عائدا من الثانوية، حتى يمر قلقا وهائجا قرب التلفزيون ويقفله، أمام عيني أخته منيرة وأخيه الأصغر سعد "[٢]، ومع مرور الوقت تحول إلى شخصية شرسة وهو يرى أنه أصبح **غيورا على دينه** " وعليه أن يحفظ هذا الدين من أعدائه، ومن المتساهلين في حدوده وشروطه وأركانه، حتى لو كان هؤلاء آباء أو أمهات أو إخوة، ما جعله ذات ليل يستل من درج المطبخ سكين الخضار ويجز به سلك الكهرباء الموصل للتلفزيون، ويرمي به في صندوق القمامة في الشارع "[٣]، وحتى بعد عودته من أفغانستان بعد مكوثه هناك سنوات، ظل يردد حكايات الحرب ضد الشيوعيين هناك، وكيف كانت **كرامات المجاهدين والشهداء** " تظهر أمامه جلية في كثير من المواقف، من روائح المسك والعنبر في تربة قبور الشهداء، إلى العلامات في السماء والأرض التي تحذر من العدو "[٤] وفي سياق وصف شخصية محمد الساهي والحديث عنها، يطرأ تطور على هذه الشخصية بعد عودته من أفغانستان، يتمثل في إنشائه واثنين من أصدقائه القدامى شركة صغيرة لبيع العسل، وأشرطة التسجيلات الإسلامية ودار نشر

---

[١] القارورة، ص ٦٦، ٦٧

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ٦٧

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ٦٧

[٤] المصدر السابق نفسه، ص ٦٥

إسلامية ومكتب حملة حج وعمرة، هذا النوع من الشركات التي لا تتورع عن ممارسة بعض أساليب **الغش والخداع**، لدى ممارسة بعض **النشاطات ذات العلاقة بالدين**، ذلك أن بعضهم " يطبعون نصائح موجزة، وأدعية، ثم يقدمونها إلى فاعلي الخير المغرر بهم، طالبين منهم تكفل طباعتها، ثم يوافق ذوو الخير على أن يطبع من هذا الكتيب أو ذاك عشرة آلاف نسخة كي توزع مجانا في المساجد والمدارس والأسواق، ولكن هؤلاء الخيرين لا يعرفون كيف يتصرفون بهذه الكميات من الكتيبات، فيوكلون هؤلاء الناشرين بتوزيعها، لكن الناشرين لا يوزعونها وإنما يبيعونها مرة أخرى لفاعل خير آخر، ويبيعونها مرة ثالثة وعاشرة وهي راقدة في مخازنهم "[١] .

وفي السياق نفسه يعطي محمد أخته منيرة شريط كاسيت من أشرطته الدينية التي يوزعها لتسمعه، وهو يحمل عنوان "لسنا أغبياء بدرجة كافية" يتهجم فيه المتحدث على بعض من **الأفكار التحررية**، التي طالب بها واحد من المنشورات التي وزعت في التظاهرة التي تطالب **بالسماح للمرأة بقيادة السيارة** بشكل نظامي، إذ يقول فيه المتحدث متهجما : " ما شاء الله ! تبارك الله ! يقلن إن قيادة السيارة تعفينا من هذا المحظور الشرعي الذي قد نقع فيه، أنا أعتبر هذا استغفالا لعقولنا، نجعل وجود السائق ضرورة، ثم نسعى في علاج ومخرج لتلك الضرورة (...) السبب الثاني في مطالبتهن هو قضية الأعباء المالية (...) كل بيت فيه عشر خادمات، إسراف وبذخ وحلي وأثاث، وما جاء الحديث عن الأعباء المالية وتجنب الإسراف والمحافظة على اقتصاديات الوطن إلا في هذا المجال "[٢] .

وكذلك اعتراض محمد على **وجود القوات الأجنبية في بلاد المسلمين** إبان حرب الخليج عام ١٩٩١م، عندما قال لأبيه " إن دخول القوات الأجنبية يعد كفرا وموالاة لهم، فلا يجوز أن يدخل الكفار بلاد المسلمين، بل يجب أن نطردهم شر طردة ! كما يجب القضاء على من يوالي الكفار من العلمانيين والحداثيين "[٣]، وهذه الصورة ذات طابع سياسي كذلك لكونها تتعلق بأمر عسكري، لكنها تظل أكثر قربا من الطابع الديني نظرا للطبيعة الدينية المتعصبة التي امتازت بها شخصية محمد الساهي في بناء الرواية .

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ٧٨

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ص ١٠٠، ١٠١

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ١٧٩

أما عنصر السرد الآخر وهو " الحدث " فتتبدى من خلاله مجموعة من الموضوعات والصور ذات الطابع الديني، وفي طليعتها **السحر**، وقد جاء تمظهره في الرواية في موضعين : أولهما في حدث تشييع جنازة جدة منيرة الساهي واستقدام غاسلة الموتى لغسل جثمان الجدة، إذ يلحظ محمد الساهي وجود ندبة في الخد الأيسر لابن أخت غاسلة الموتى، ولدى سؤال محمد له عن سبب وجودها يشرع هذا الرجل في رواية قصة هذه الندبة، وهي أنه اصطحب والدته العجوز المتوفاة وأختها الغاسلة في رحلة عمرة، بعد أن كبرت أمه وتقدمت بها السن، حيث تفاجأ والدته العجوز وهي تطوف بأنها لم تتمكن من رؤية الكعبة بعينها المجردة، ولدى بوحها لابنها بهذا السر، ومن ثم إلحاحه عليها في معرفة ما يمكن أن يكون سببا في انحجاب الكعبة عن عيني الأم العجوز، تبوح له بسر مفاده أنها " كانت تضع العمل أو السحر في فم جنازة المرأة التي تقوم بغسلها، تدس الشعر المعقود أو ما شابه ذلك من سحر في فم الميت، تدسه بإصبعها حتى أقصى حنجرته المتيبسة، ثم تغلق الفك جيدا وتلف الكفن حول الجثة، فيمضي السحر في أقصى الأرض، ويظل المسحور يدور في الدنيا مريضا "[١] . أما ثاني الموضعين فهو بعد تكشف حقيقة حسن بن عاصي لمنيرة، فقام على إثر ذلك بالادعاء عليها في المحكمة بأنها سحرته، حيث تقول منيرة واصفة ذلك : " كان يقول في الادعاء، إنني حين أقبّله في شفتيه أداعب شعر رأسه بقوة، وأنني أنتزع بعض شعر رأسه كي تصنع لي المستخدمة المصرية عملا وربطا يجعله يدور في أفلاكي "[٢] .

ومع بدء منيرة عملها في دار الفتيات، تفاجأ بأن عددا من النزيلات في الدار يلحق بهن في صباح كل يوم **وجبة جلد**، وبرغم كونها عقوبة رسمية إلا أنها لا تتوافق مع قناعة منيرة، كما يبدو من ظاهر النص " دخل الشيخ بلحية وقورة ومشلح خفيف يتبعه مندوب من الشرطة وآخر من الهيئة (...) ثم جاء صوت الشيخ يكسر حدة السكون طالبا البدء بأسماء المحكوم عليهن بالجلد، فعلا صوت آخر : "هيلة بنت ... تناول مسكرات وهروب من الأسرة" بزغ جسد ضئيل ومتعثر بالعباءة (...) بدأ السوط يحكي حزنه الأبدي، وهو يعلو مغمضا ومضطربا ثم يهوي وسط صفير الهواء الذي

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ص ٦٠، ٦١

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٩

يبكي لفرط سخطه "[١]، ذاك السخط الذي تعبر عنه منيرة بقولها : " تعلمت في قاعات الجامعة دراسة المجتمعات وأصول العقاب، ودراسة النفس البشرية، أعماقها وتحولاتها، وسيكولوجية المخطئ، وأشياء كثيرة لعلماء طارت أسماؤهم ونظرياتهم في هذه القاعة "[٢] .

ويتردد في ذهن حمد الساهي والد منيرة، عدد من الأسئلة عن مرحلة من مراحل حياة مدينة الرياض وتاريخها، تلك المراحل التي يمثل تذكره لها جزءا من أحداث هذه الرواية، وتلك الأسئلة تتعلق ببعض **مظاهر الترفيه** التي كانت ماثلة في بعض مناطق مدينة الرياض في تلك الفترة، ولا ريب أن اختفاء تلك المظاهر كان بدفع من الذين يعدونها محرمة شرعا، ويسعون باستمرار إلى إلغاء وجودها من عالم الواقع " تذكر الساهي هؤلاء اليمنيين وهم يتزاحمون كل يوم جمعة عند بوابة نادي النصر في شارع الخزان، ليتمتعوا بالفيلم الأجنبي الأسبوعي في قاعة السينما ! أي سينما في مدينة صارت جثة ؟ أين المحلات التاي كانت تبيع أغنيات علي الإحسائي ومحمد عبده ؟ أين ستيريو الوتر في شارع الشميسي الجديد ؟ كيف أصبح تسجيلات بلاط الشهداء الإسلامية ؟ تذكر محلات الستيريو تلك وقد صارت محلات للتسجيلات الإسلامية "[٣] والراوي هنا الذي هو حمد الساهي، يشكل ستارا فنيا للكاتب الذي له " موقع في الحقل الثقافي الذي تمارس فيه الكتابة، والراوي في علاقته بما يروي يصدر تعبيرا عن موقع، إنه يصوغ قوله محكوما بموقع له، بل إن زاوية رؤياه تتكون به، فبالنظر إلى الموقع تتحدد زاوية الرؤية وتتفتح في حدود هذا المجال أو ذاك "[٤] .

والأمر الذي يثير استغراب منيرة بشدة أثناء نظر القاضي في قضيتها مع حسن بن عاصي، أن القاضي يشغل نفسه **بطول أظافرها ويأمرها أن تقصها** بدعوى أن إطالتها أمر محرم شرعا، فهي منشغلة بطلب الخلع من حسن بن عاصي، وابن عاصي هذا منشغل بدعواه في حقها بأنها تسحره، والقاضي منشغل بطول أظافرها " هل كانت أصابعي طويلة، هل كانت أظافري طويلة تشبه أظافر جنية أو ساحرة، حتى يستبقي القاضي أخي بعد خروجي ليطلب منه أن يرغمني على

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ١٤٩

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١٤٩

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ١٧٨

[٤] يمنى العيد، **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، دار الفارابي، ط٣، بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٨٢

أن أقص أظافري الطويلة، بعد أن ظل يحدق بأصابعي وهي تعانق القلم كي أوقع على أقوالي (...) كان القاضي قد تجاهل المأساة بأكملها، ووجد أن الجاهلية الأولى – كما قال لأخي – في أظافري الطويلة "[١]، والسرد، كما يقول عبد الله إبراهيم، يؤدي " وظيفة تمثيلية شديدة الأهمية في الرواية، فهو يقوم بتركيب المادة التخيلية، وينظم العلاقة بينها وبين المرجعيات الثقافية، بما يجعلها تتدرج في علاقة مزدوجة مع مرجعياتها، فهي متصلة بتلك المرجعيات، لأنها استثمرت بعض مكوناتها، وبخاصة ما له صلة بالأحداث والشخصيات والخلفيات الزمانية والمكانية (...) على أن انفتاح الحكاية على فضاءات اجتماعية وتاريخية وسلالية، فضلا عن تنوع مكوناتها، نقل الرواية من كونها مدونة نصية إلى خطاب تعددي منشبك بالخلفيات الثقافية الحاضنة له "[٢] .

ثالثا

القيم السياسية

وهي الموضوعات والصور التي تنطوي على إشارات مباشرة إلى شؤون سياسية، أو جوانب إدارية تتعلق بعمل بعض دوائر الدولة السعودية، تلك الجوانب التي تحتاج قرارات من مستويات عليا في الدولة لتفعيلها، ما يجعلها ألصق ما تكون بالجوانب السياسية كما سنلحظ فيما يلي من الكلام، وبالرغم من أن مهمة الكاتب المبدع لا تنحصر في أن يكون مسجلا ومدونا للحراك السياسي في المجتمع الذي يعيش فيه، إلا أن الكاتب " يظل مواطنا، له آراؤه في المسائل السياسية والاجتماعية ذات الخطر، وإسهامه في موضوع العصر "[٣]، التي يطيب له أن يجعل النص الأدبي وعاء لطرحها فيه من وراء حجاب .

حيث تتبدى الإشارات إلى الشؤون السياسية والإدارية، من خلال الشخصية الرئيسة في الرواية منيرة الساهي وخطيبها حسن بن عاصي، وها هي ذي في الموقف التالي تندب حظها وتبدي استغرابها من سرعة وقوعها في شباك حسن بن

---

[١] القارورة، ص ٢٢٤

[٢] عبد الله إبراهيم، **السردية العربية الحديثة، الأبنية السردية والدلالية** ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٤١

[٣] رينيه ويليك، وأوستن وارين، **نظرية الأدب**، ترجمة عادل سلامة، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٢م، ص ١٣٥

عاصي، وهو يذيبها بالكلام الرومنسي ومشاعر الحب التي كانت تفتقدها من قبل، إذ يوظف المحيميد هذا السياق ليرسم صورة يشبه فيها غزو بن عاصي لقلب منيرة **بغزو القوات العراقية للكويت** صيف عام ١٩٩٠م، لا سيما أن المحيميد قد اختار ذاك السياق الزمني فضاء لأحداث هذه الرواية، حيث تقول منيرة : " الجيوش والدبابات الروسية السريعة، التي انطلقت من البصرة إلى الكويت لها أسبابها وطموحاتها، ولكن أنت ما أسباب اقتحامك قلبي، بدبابات شوق وقناصي وله يقودهم ابن الملوح وكثيّر عزة ونزار ؟ لقد سال عسلي بغزلك وقصائدك "[١]، حيث يصف زهير العمري جهد المحيميد في هذا الجانب بقوله : " وتميزت تجربة المحيميد السردية، وخصوصا في حقل الرواية، حيث رصدت التحولات السياسية والثقافية والاجتماعية في العقود الثلاثة الماضية، وتفاعلت روايات المحيميد مع الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الخليج، من خلال استدعاء هذه الأحداث في رواياته بالتوازي، مع المشاهد الاجتماعية التي كانت لا تنفصل عن الأحداث السياسية والاجتماعية "[٢] .

وفي السياق نفسه تتحدث منيرة عن تفاصيل حدث تقوم فيه هي ومجموعة من الناشطات، بتقديم المساعدات لبعض اللاجئين الكويتيين في مدينة الرياض في الفترة الزمنية نفسها صيف عام ١٩٩٠م، حيث تعيّر بعض اللاجئات منيرة وصاحباتها بكونهن **محرومات من حق قيادة السيارة** في بلدهن السعودية، وهذا الجانب – كما أشرت توا – هو جانب إداري، لكنه على صلة وثيقة بالقرار السياسي لأنه يحتاج لقرار على مستوى عال للسماح به، وفي ظني أن ربط المحيميد بين هاتين الصورتين في موضع واحد هو غرض مقصود من الكاتب، والصورتان هما : الغزو العراقي للكويت وحرمان المرأة السعودية من حق قيادة السيارة، وكأن المحيميد يريد أن يشي بأن سلب المرأة هذا الحق في بلده، هو مشابه تماما لسلب الشعوب حقوقها باحتلال أراضيها وتشريدها في بقاع الأرض، حيث تصف منيرة ذاك الحدث بقولها : " إذ كنت مع زميلتي نبيلة وسامية نقوم بتلبية حاجات الأسر الكويتية المشردة من بلادها (...) وما إن نبتعد قليلا عنهن، حتى يطلقن كلاما جارحا، إذ يعبن علينا أننا ذليلات وخاضعات، ولا نملك حتى أن نقود السيارات بأنفسنا "[٣] .

---

[١] القارورة، ص ٧٩

[٢] زهير حسن العمري " **صور التناص في روايات يوسف المحيميد** " **مجلة الدراسات الشرقية**، مصر، ع٥٥، يوليو ٢٠١٥م، ص ٢٤٧

[٣] القارورة، ص ٩٢

وكذلك أمر منع **المرأة من السفر إلا برفقة محرم** أو بإذن ولي أمرها كالزوج أو الوالد، هو أمر ذو طابع ديني واجتماعي في المقام الأول، لكنه يغدو أمرا إداريا ذا بعد سياسي، لأن تغييره يتطلب قرارا من ولي الأمر في الدولة السعودية، ما يجعله أمرا إداريا بنكهة سياسية، وتأتي الإشارة لهذا الجانب في سياق حالة اليأس التي تعيشها منيرة بعد ما حصل بينها وبين حسن بن عاصي، وتخيلها السيناريو القاتم الذي من الممكن أن تخضع له في قادم الأيام، وحصار المجتمع لها وهي الفتاة العانس المقيدة الحرية في الحل والترحال، إذ تقول : " سأحصل على وظيفة عليا، سأكون مسؤولة عن أكثر من أربعين موظفة، سيقضي زوجي الصيف مسافرا إلى المغرب والقاهرة بحجة الفحوصات والعلاج، بينما لا يحق لي السفر إلى الخارج من دون محرم، أو من دون موافقة ولي أمري على السفر وحدي "[١] .

ومن خلال الشخصية الثانوية شخصية محمد أخي منيرة، تتبدى صورة الطمع والجشع في **استغلال ظرف خروج التجار اليمنيين**، من دول الخليج بسبب **موقف اليمن الداعم للعراق** في حرب الخليج، إذ " لم يختلف كثيرا محمد الساهي أيام الحرب عن صبي الغنائم، وهو يتعقب التجار اليمنيين الصغار الذين يعلقون على واجهات محلاتهم لوحة ورقية مكتوبة بخط رديء ومتعرج : "المحل للتقبيل لدواعي السفر"، كان اليمنيون يتخلصون من تجارتهم سريعا، ويركبون سيارات نقل صغيرة مملوءة بأغراضهم الشخصية وأحزانهم، سالكين طريق الجنوب (...) ما جعل محمد الساهي صاحب سلسلة محلات العسل والعود وشركة الشريط الإسلامي الكبرى، يصطاد الهاربين بحنكة صبي الساعات في الحروب "[٢] والأدب الحقيقي، كما يرى شكري عياد " هو الذي يستطيع أن يصور هذه الحياة بكل سموها وبكل انحطاطها : بكل جمالها وبكل بشاعتها، ولكنه ليصور هذه النقائض الغريبة يجب أن يتجاوز السطح إلى الأعماق، يجب أن يطرح الخيال الزائف ويغوص وراء الحقيقة"[٣] .

واللافت للانتباه، لدى الكلام عن عنصر الحدث، أن الموضوع السياسي الأكثر بروزا على أديم الرواية، هو **غزو العراق للكويت** عام ١٩٩٠م، وما تبعه من ردات فعل في الجانبين السياسي والعسكري، بحيث يمكننا القول إن المحيميد يجعل

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ٢٤١

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١٧٥

[٣] شكري عياد، **تجارب في الأدب والنقد**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٥٤

من هذا الموضوع سياقا تتبدى من خلاله عدد من الصور في شريط أحداث علاقة منيرة الساهي بحسن بن عاصي، في شكل إيماءات تتبدى هنا وهناك في هذا الشريط، فقد خسرت منيرة فرصتها في إتمام مشوار الحصول على شهادة الماجستير " بعد أن ألغت الجامعة عقد المشرف على الرسالة الدكتور ياسر شاهين، الأردني من أصل فلسطيني، بسبب موقف الأردن وفلسطين من غزو الكويت، ومعارضتهما دخول القوات الأجنبية إلى المنطقة "[١]، وكأن المحيميد بإشارته لهذا الحدث يقرّع الضمير السياسي العربي الذي غرق في خضم تلك القضية في تلك الفترة، إلى الحد الذي يكون فيه التعبير عن السخط السياسي متمثلا في إلغاء عقد أستاذ جامعي، ومن ثم إفشال مشروع طالبة دراسات عليها في متابعة مشوارها البحثي نتيجة لذاك التصرف .

وعند وفاة جدة منيرة تبدأ الأسرة بإجراءات الدفن وإحضار غاسلة الموتى لتغسل العجوز في بيتها، تنفيذا لوصيتها قبل وفاتها " خرج الأب والأم مسرعين، والشوارع شبه خالية بعد دقائق من أنين صفارة الإنذار، لمحا ضوءا خاطفا جهة جنوب المدينة، وعلا صوت انفجار بعيد (...) لم تركب المرأة الغاسلة سيارة الأب الجدي إم سي، بالرغم من وجود زوجته معه، بل تبعتهم بسيارة أخرى، لابن اختها المتوفاة، كانت تركب في المقعد الخلفي، بينما عينا ابن أختها ذي الندبة الطويلة في خده الأيسر، تتابعان لوحة سيارة الأب في الشوارع شبه الخالية، والمدينة تترقب صهيل صاروخ سكود آخر، يطوي المسافات من فم البلد الشمالي "[٢]، فالحدث المهم هو إحضار غاسلة الموتى لإتمام إجراءات تجهيز المتوفاة للدفن، ولكن أن تمثل أصوات الانفجارات والتماعاتها سياقا يجري في إطاره ذاك الحدث، فهو أمر لا يخلو من إشارات تنطوي على تقريع أيضا للضمير السياسي العربي .

ومن ثم يقرن المحيميد في موضع تال بين نهايتي معركتين : معركة خلاصها من حسن بن عاصي وخداعه لها، والمجتمع وزخم المحاكم وما يرافق ذلك من أذى نفسي لا يخفى، ومعركة تحرير الكويت من الاحتلال العراقي، والتقريع في هذا الربط موجه بشكل واضح وصريح إلى الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، الذي كان السبب في إشعال تلك النار التي غادرها وهي مشتعلة، ومثلما هو مباشر وصريح تجاه صدام حسين، فهو لا يخلو من وضوح وصراحة في

---

[١] القارورة، ص ١٦

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ص ٤٨ – ٥٠

تقريع ضمير المجتمع الذي يوغل في إيذاء الضحايا من شاكلة منيرة الساهي في معركتها مع حسن بن عاصي " على شرشف حريري ناعم كان جسدها المنهك يتمدد بعد أن توقفت الحرب، حربها مع الدحال والمجتمع معا، ممثلا بهيئاته ومحاكمه ورجاله، وحرب الخليج التي لم تخلف سوى قتلى مدفونين في مقابر جماعية، وأعمدة ضخمة من الدخان الأسود المتصاعد من آبار نفط الكويت، كان صدام قد خرج بجنوده بعد أن رمى عود ثقاب أخير، وجلس يتأمل أعمدة الدخان الأسود "[١]، فالرواية إذن فيها " خطان متوازيان للعبة الشيطانية، خط لعبة علي الدحال مع منيرة الساهي، وخط الحرب الطاحنة (بعد أن أعلن صدام حسين أن الكويت جزء من العراق، وأن الفرع عاد للأصل) (...) وخارج هذا الإطار كانت هناك حرب، داخل عالم منيرة والدحال، حرب صغيرة تدار بمهارة وحذق وشطارة ! "[٢] .

ولدى الحديث عن عنصر المكان بوصفه فضاء تتبدى من خلاله الموضوعات والصور السياسية في الرواية، فإننا نلحظ أن هذه الموضوعات والصور هي ذات طابع عسكري في المقام الأول، لكن لا ريب في أن تولدها كأحداث عسكرية ناتج عن أسباب سياسية، إذ يعمد المحيميد إلى الربط ببراعة، بين مأساة منيرة الساهي ومأساة احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠م، كما أشرت سالفا، وما نتج عنه من أحداث جسام؛ إذن فهي أحداث عسكرية ناتجة عن أسباب سياسية ولا شك، بحيث يكون هذا الربط على شكل تشبيه بين حال الأماكن التي سيلي ذكرها، وحال منيرة في علاقتها مع حسن بن عاصي، ووجه الشبه بينهما ولا ريب، هو حالة من البؤس والحزن لا تحبها نفس من دون شك .

فالمحيميد يستهل حروفه الأولى في كتابة الرواية بوصفه **لمدينة الرياض**، وقد صحت في صباح من الصباحات المصطبغة بصبغة عسكرية، فالمدينة " تتثاءب بعد نوم منهك، وقد صمتت صفارات الإنذار وتوقف جحيم صواريخ "سكود" السوفياتية ومضادات باتريوت الأمريكية، من دون أن تتوقف عربات الجيش وناقلات الجنود عن التجوال ليلا "[٣]، وليست هذه الصبغة العسكرية هي السبب الوحيد في تعاسة هذا السياق اللغوي وحسب، بل إن هناك سببا آخر يتمثل في حالة التعاسة التي باتت عليهما عينا منيرة الساهي الجميلتان طيلة الليلة الماضية، وهي تنشج وتبكي بعد

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ١١٣

[٢] القارورة ليوسف المحيميد، ص ص ١٢٣، ١٢٤

[٣] القارورة، ص ١٢

تكشف مؤامرة حسن بن عاصي لها " كانت عيناها الرائعتان قد تضخمتا بفعل البكاء والنشيج المر طوال ليل البارحة"[١]، ليصرح المحيميد في السياق نفسه بوجه الشبه بين حال المدينة / الرياض، وحال منيرة بقوله : " هي والمدينة تتشابهان إلى حد بعيد، للمدينة قلب ولها قلب أيضا، للمدينة شجر يشبه شعر امرأة حزينة، ولها شعر يشبه شجر مدينة قانطة "[٢]، فالتماهي الذي يفوق التشابه واضح بين حال شخصية منيرة في معركتها مع حسن بن عاصي، وحال المكان/ مدينة الرياض في معاناتها من ويلات الحرب في تلك الفترة من الزمن .

وليست منيرة هي الشخصية الوحيدة التي تعاني من جراء مؤامرة بن عاصي هذه، بل كل من حولها من أسرتها ومنهم والدها حمد الساهي، إذ يرسم المحيميد صورة تنطوي على حال من التضاد بين شكل صدام حسين وهو ينسحب من الكويت من دون أن يشعر بأي هزيمة وهو ينسحب، وحمد الساهي الذي يأكل الألم جوفه جراء ما حدث لابنته من انسحاب بن عاصي من حياتها بتلك الصورة المفضوحة، إذ " لم يكن قائد أم المعارك في بغداد يشعر بأي هزيمة أو خزي لحظة انسحبت جيوشه من الكويت، كتلك التي أغرقت حمد الساهي ليلة البارحة بعدما تكشف زيف خطيب ابنته"[٣]، فهذا السياق إذن ينطوي على ذكر فضاءين مكانيين هما **العراق والكويت**، شهدا حربا محرقة في وقت من الأوقات، أفضت إلى نتائج مؤلمة كالتي آلت إليها حال منيرة وأسرتها تماما من وجهة نظر الروائي المحيميد .

ويعيد الروائي ذكر هذين الفضاءين المكانيين : **العراق والكويت** في موضع تال، يرسم فيه صورة بلاغية، يجري فيها تشبيها بين صورتين : صورة حسن بن عاصي وهو يلقي شباكه لمنيرة لتقع في حبائله، وصورة العراق وهو يقع في فخ إغراء الكويت، وكأن المحيميد بذلك يلقي باللائمة على طرف من الأطراف في هذه المعمورة، بأنه أغرى العراق باحتلال الكويت في تلك الفترة، ليتمكن من تنفيذ أجندة طويلة حافلة بالأحداث والمكاسب له " مثل دولة عظمى تملك أسلحة ودراسات ومخابرات كان ابن الدحال، إذ يهيئ الكمين ويرمي حوله القش وأوراق الشجر، منتظرا أن تقع فيه غزالة شاردة،

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ١٢

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١٢

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ١٣

لا يعرف إن كانت الغزالة الشاردة الضالة هي العراق وقد وقع في فخ الكويت ! أم هي الكويت وقد وقعت في فخ العراق"[١] .

أما الزمن بوصفه عنصرا من عناصر السرد، فلا يكاد المتلقي يجد له إيحاء واضحا إلا في علاقته بالقيم السياسية، وذلك لأنه محصور في تواريخ محددة مرتبطة بحدث **احتلال العراق للكويت**، وصحيح أن المحيميد في تلك التواريخ يقرن بين الجانبين الاجتماعي والسياسي، لدى ربطه بين أحداث قصة منيرة مع ابن عاصي وأحداث احتلال العراق للكويت، لكن الإيحاء موجه تحديدا صوب الجانب السياسي الذي توحي به تلك التواريخ، وإلا فلم اختار الروائي تلك التواريخ من دون غيرها من الأوعية الزمنية إن لم يكن يقصد الإيحاء إلى تلك الأحداث العسكرية السياسية الجسيمة، التي تمثلت في احتلا العراق للكويت وما تبعها من زلزال سياسي اجتاح منطقة الخليج العربي وما وراءها من أرجاء الوطن العربي ؟! . فالراوي يقول : " كانت منيرة قد فرغت للتو من قراءة الصك الصادر من المحكمة، الذي أعادها إلى ما كانت عليه قبل آب / أغسطس 1990م، عزباء كأنما لم يقتحم وحشة قلبها أحد "[٢]، ويقول في موضع آخر : " في صباح بارد من أواخر شباط / فبراير عام 1991م كانت السماء بيضاء صافية، وخالية من ضجيج طائرات إف 15 المقاتلة، لحظة أن استيقظت المدينة بعينين متعبتين "[٣]، والتاريخ التالي هو الذي حصلت فيه منيرة على الصك الذي خلصها من حسن بن عاصي، وعادت بموجبه إلى ما كانت عليه من وضع اجتماعي قبل تاريخ آب / أغسطس 1990م المشار إليه في الشاهد الأول، وفي ظني أن اختيار هذين التاريخين والإشارة إليهما في مواضع كثيرة من الرواية، إنما هو اختيار مقصود، ويحمل إيحاءات سياسية، الإشارة فيها واضحة إلى أحداث احتلال العراق للكويت، والقارئ ليس من حقه أن يستنطق الروائي هنا عن مقصده الدقيق من هذا الاختيار، وإنما يكفي الإيحاء الذي يُقرأ هنا بوصفه إشارة إلى قيمة سياسية .

---

[١] المصدر السابق نفسه، ص ١٧٢

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١٦

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ١١

خاتمة

إذن فهذه الرواية غنية بتناول الروائي يوسف المحيميد فيها، لعدد من القيم في الأبعاد الاجتماعية، والدينية، والسياسية؛ بحيث ينطوي كل بعد من هذه الأبعاد على عدد من الصور والقضايا، التي عمد الكاتب إلى طرحها أمام ضمير المجتمع السعودي خاصة والعربي عامة، لعله يتجاوزها إلى واقع أفضل في يوم من الأيام .

وهذه الصور تتوزع في البعد الاجتماعي بين : خديعة اجتماعية تعرضت لها البطلة من حسن بن عاصي، وبين تحرش جنسي، وإهمال البنات وعدم إيلائهن الحنان الكافي، والنظرة الدونية للمرأة، فضلا عن تعمد الإسراف في ضرب الزوجة بسبب ومن دون سبب، وكذلك قضايا الشرف التي تذهب في العادة بعض النساء ضحية لها، والنظرة السلبية للمرأة التي يتقدم بها العمر من دون زواج (العانس)، وكذلك تناقضات الناس وتقلباتهم بين ممارسة أفعال الخير والفجور والفضيلة والرذيلة .

أما في البعد الديني، فقد عرض المحيميد لعدد من الصور والقضايا، كظاهرة التعصب الديني الذي قد يكون في غير محله، ولبس بعض الشخصيات لبوس الدين لتحقيق مآرب شخصية، من خلال الادعاء برؤيته مشاهد من كرامات المجاهدين، لا سيما في حرب الأفغان ضد الروس في ثمانينيات القرن العشرين، وهذا المظهر الديني قد يكون صحيحا، ولكن مقصد المحيميد واضح ولا شك، وهو تقريع المنتفعين من الدين من خلال تركيزهم على مثل هذه الحكايات، لا سيما أنه يقرع ضمائر هذه الشخصيات التي يتهمها بممارسة الغش والخداع وهي تلبس لبوس الدين .

ويشير المحيميد إلى قضايا أخرى كاعتراض بعض شخصيات الرواية على وجود القوات الأجنبية في بلاد المسلمين، كما يشير إلى إيمان البعض بقضية السحر، وكذلك بعض القضايا ذات الطابع الإداري في البعد الديني، كقضية الإسراف في جلد الضحايا في مراكز الإيواء، وانتفاء وجود مراز الترفيه في المجتمع السعودي لأسباب دينية، فضلا عن إشارته إلى تركيز القاضي على طول أظافر منيرة الساهي، وهو أمر شخصي يخص هذه الشخصية لوحدها، لكن القاضي يصنع منه حكاية بحد ذاتها .

وفي البعد السياسي يجعل من قضية غزو القوات العراقية للكويت صيف عام ١٩٩٠م، إطارا زمنيا يشير فيه لعدد من القضايا، كاستغلال بعض التجار لذاك الظرف بشراء محلات التجار اليمنيين الذين أجبرتهم الخلافات السياسية على ترك المملكة في ذاك السياق، فضلا عن بعض القضايا الإدارية، كحرمان المرأة حق قيادة السيارة، أو السفر إلا برفقة محرم، وفي العموم فإن روايات يوسف المحيميد غنية بالجوانب التي يمكن للدارسين تناولها من خلالها، وفي طليعتها التوجه التحرري لهذا الكاتب؛ التوجه التحرري

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

١. (المحيميد) يوسف : القارورة، دار مدارك للنشر، ط٦، دبي، ٢٠١٤م .

٢. (المحيميد) : يوسف : حوار مع الروائي السعودي يوسف المحيميد" مجلة الاستهلال، السعودية،ع١٤، يونيو ٢٠١٧م، ص ص ١٣١ – ١٣٥ .

المراجع، كتب عربية :

٣. (إبراهيم) عبد الله : السردية العربية الحديثة، الأبنية السردية والدلالية،ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٣م .

٤. (دهوان) عبد الغني : الرواية والمجتمع، دراسة سوسيونقدية، عمان، ط١، ٢٠١٧م .

٥. (عياد) شكري : تجارب في الأدب والنقد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م .

٦. (العيد) يمنى : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط٣،٢٠١٠م .

٧. (يوسف) آمنة : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٥ .

المراجع، كتب مترجمة :

٨. (ديهامل) جورج : دفاع عن الأدب، ترجمة محمد مندور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٥م .

٩. (لوكاش) جورج : بلزال والواقعية الفرنسية، ترجمة محمد علي اليوسفي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م .

١٠.(ويليك) رينيه وأوستن وارين : نظرية الأدب، ترجمة عادل سلامة، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٢م .

المراجع، دوريات :

١١.(السروي) صلاح السيد : بكائية للقسوة، ترنيمة للحياة، قراءة في مجموعة ظهيرة لا مشاة لها ليوسف المحيميد، مجلة أدب ونقد، الرياض، ع٧٥، م٨، نوفمبر ١٩٩١م، ص ص ١١٦ – ١٢٢ .

١٢.(العجيلي) شهلا : النص الروائي ودوال الهوية الثقافية، مجلة علامات في النقد الأدبي بجدة، السعودية، ج٥٣، م١٤، رجب ١٤٢٥هـ – سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ص ٤٣٩ – ٤٥٣ .

١٣.(العمري) زهير حسن : صور التناص في روايات يوسف المحيميد، مجلة الدراسات الشرقية، مصر، ع٥٥، يوليو ٢٠١٥م، ص ٢٤٧ – ٢٧٧ .

١٤.(العنزي) عوض إبراهيم : آفاق التوقع ومسارات التحول : قراءة بنيوية تكوينية في رواية "فخاخ الرائحة" ليوسف المحيميد، مجلة قوافل، الرياض، ع٣٤، أغسطس ٢٠١٦م، ص ص ٦٤ – ٧١ .

١٥.(محمود) محمد عطية : مرآة الذات مرآة المجتمع في القارورة ليوسف المحيميد، مجلة قوافل، الرياض، ع٣٦، سبتمبر ٢٠١٧م، ص ص ١٤٨ – ١٥٩ .

١٦.(نجار) نزار : القارورة ليوسف المحيميد، مجلة الفيصل الأدبية، الرياض، ع٣، م١، سبتمبر ٢٠٠٥م، ص ص ١٢١ – ١٢٧ .

١٧.(النعمي) حسن : الآخر في الرواية السعودية، دراسة في الخطاب الثقافي، مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية، الطائف، ع٤، م١، ذو الحجة ١٤٣١هـ – ديسمبر ٢٠١٠م، ص ص ١٥٩ – ١٨٨ .